قراءة

في مسافة فاصلة بين الداخل والخارج والعلاقة التبادلية الممكنة بينهما، يتموقع خطاب ديوان الشاعرة المغربية، ليبني مساره السردي من خلال استعارة مكان نُجرٌّ جرّا الى رؤيته وهو يسيل في تكتكات الساعة واللحظات المنفلتة وثقل الايام المتعاقبة

خطّة بديلة أغصان وذكريات وأصدقاء

سكينة حبيب الله الشعراء يموتون أيضاً

ناظم بن إبراهيم

بينما كانت الفلسفة تواصل العمل داخل ورشتها على نحت البراديغمات المناسبة للتعامل مع أسئلة الزّمان والمكان، كان الشّعرُ في الأثناء ينحتُ هذه الأسئلة بطريقته الخاصّة، لا ليصل إلى إجابة واضحة قد تكون بمثابة رصاصة الرّحمة الّتي تخلّص الإنسان من حيرة ميتافيزيقية مفترضة، بل ليتعمّق في محاولة جعل هذه الأسئلة مناسبة أكثر في كلّ مرّة يجدُ فيها نفسه شكلًا ما يزال ممكنًا من أشكال إقامة الإنسان في العالم. هذه الإقامة الّتي لم تعُد تجد لنفسها معنى كافيًا في أزمنتنا المعاصرة، بعد أن صارت مشغولة بنوع من الزّمنيّة الجديدة المؤذية لكينونتها، ونوع من الجغرافيا الجديدة الّتي يصبحُ فيها المكان شكلًا من أشكال الضّبط الهُوويّ، لذات تبحثُ باستمرار عن الخارج دون الاهتمام بما يكفي بالدّاخل الّذي يعطيه معنى.

في هذه المسافة الفاصلة بين الدّاخل والخارج والعلاقة التبادليّة الممكنة بينهما، يتموقعُ الخطاب الشّعريّ في كتاب «خطّة بديلة» للشاعرة المغربيّة سكينة حبيب الله (الدار البيضاء، 1989)، وهو كتابها الشعريّ الرابع الصّادر حديثًا عن «منشورات المتوسّط»، ليعيد ترتيب أسئلته داخل هذا الأفق ويبني مساره السرديّ من خلال استعارة المكان، المكان الّذي لا يُقترحُ علينا الإمساك به أو النّظر إليه داخل مشهديّة متمجّدة، بقدر ما نُجَرّ جرّا إلى رؤيته وهو يتحوّل ويسيل في تكتكات السّاعة واللّحظات المنفلتة وثقل الأيّام المتعاقبة بلا جدوى. وبينما نحنُ كذلك، نتفطّنُ فجأة إلى أنّ كلّ ما كان يحدث، كان يحدثُ في داخلنا، في الوقت الّذي لم يكُن فيه الخارج شيئًا سوى المرآة الّتي نلمحُ فيها وطأة فكرة أنّنا نمضي إلى حتفنا، مثلما يمضي العالم مزهوًّا إلى «السّقوط، السقوط العظيم، هو ما يجعل نهرًا يتحوّل إلى شلّال».

هذا الوعي العميق بوطأة الزّمن على الوجود الإنسانيّ وبفناء هذا الوجود وعالمه، جعل من هندسة المكان في كتاب «خطة بديلة» تتوزّع على خطط استعارية مختلفة من أهمّها استعارة البيت. وإذا ما حاولنا رصد مختلف الوحدات المعجميّة والصور الشعرية الّتي تعلّقت بهذه الاستعارة، يمكن أن نخلُص إلى ثلاث ملاحظات أساسيّة: الأولى، أنّ الاشتغال على ثيمة البيت يبدو عملًا معجميًا واضحًا في مستوى عنونة النّصوص، إذ نجدُ البيت دالًا أساسيًا في أكثر من نص (على طريقة البيوت/ على متن بيت/ جيناليوجيا البيت/ لديّ بيت في مكان ما). والثانية أنّ العمل على هذه الثيمة يتحوّل في بقيّة النّصوص إلى تنويعات مرتبطة بها بطريقة أو بأخرى، فيصير البيت أيّ مكان له نقطة بداية ونقطة نهاية تتنازعان مختلف التحوّلات الطارئة داخله (الأعشاش، الطريق، الأبواب الّتي تنفتح وتنغلق، الثلاجة، المرآة، كادر الصّورة، علب السردين)، والثالثة أنّ هذا البيت الواحد المتعدّد لا يتوقّف عن التحوّل والتشظّي داخل الذّات الّتي تكتبه وخارجها على نحو يجعل من لعبة الدّخول والخروج وتحويل الذّات نفسها إلى مكان أهل بالأحداث من الأشياء الّتي لعبت دورًا أساسيًا في تكوين ملامح الكون الشعريّ في هذا الكتاب (رفع الملل ويُثقّبها بالنوافذ/ لديّ بيتٌ في مكانٍ ما، أنا متأكّدة من ذلك، وإلى أن أجده، سنظلّ في حياة يبعث على الخجل. يعرف ذلك بداي تجهشان كلّ ليلة، بالمفاتيح/ شيء ما في البنّاؤون وهم يرفعون الجدران في البيوت). غير أنّ البيت الّذي تحاول سكينة حبيب الله كتابته ليس بيتًا من أحجار وإسمنت وأعمدة وأبواب، وإن أوهمتنا بأنّه من كنه هذه العناصر؛ بل بيت من القشّ والأشجار والأغصان والذكريات والأصدقاء والخيبات الإنسانيّة. إنّهُ بيت الشّاعر(ة) المتشرّد(ة) في الكلمات والأشياء، لا يبحث لنفسه عن معنى نهائيّ يريح أصحابهُ من أرق التفكير في «الآن» الّذي يتحوّل إلى ماضٍ عندما نفكّر فيه وإلى مستقبل عندما نتخيّله، ولا يرغبُ لنفسه في ميزة تداوليّة تجعله قابلًا للاستعمال العموميّ في الحياة اليوميّة، ليس لأنّهُ لا يريد ذلك، بل لأنّهُ لا يعرفُ نفسهُ إلّا أثناء الكتابة؛ الكتابة الّتي لا تعرف نفسها هي الأخرى. من أين يأتي المعنى إذن؟ إنّهُ موجود في مكان ما مثل الرّمن، وربّما هما مترادفان في علاقتهما بالوجود البشريّ. الوجود الّذي يتجمّدُ في صورة مدرسيّة تُثبّتُ فوق ملفّاتنا بدبوس حديديّ يوضع «فوق شفاهنا الصغيرة الباسمة» بينما نكبرُ و«يتقاطر من أفواهنا الصدأ، كلّما حاولنا الكلام». الكلام الّذي يُقال، ثمّ يُنسى في المعاجم. الشعراء يموتون أيضًا. وربّما في تشابه الدّوالّ بين البيت الّذي نسكنهُ في الواقع، والبيت بعدّه التسمية الّتي اختارها العرب القدامى للوحدة العضويّة الّتي تجعل من الشّعر شعرًا، ما يكفي ليكون الشّاعر بعدّه موظّفًا للكلمات، وموظّفًا عندها بيتًا لنفسه.

لقد نجحت سكينة حبيب الله في هذا الكتاب، في تقديرنا، مثلها في ذلك مثل العديد من الشعراء والشاعرات الجدد الّذين برزت أصواتهم في العقدين الأخيرين، في أربعة أشياء: الأوّل هو جعلها الهشاشة الوجود الإنسانيّ منطلق الكتابة الشعريّة لديها على نحو نُعيد معه تعريف الأدب على النّحو التالي: الأدب هو نفسهُ إلّا أثناء الكتابة؛ الكتابة الّتي لا تعرف شفقة إنسانية مشتركة لا تستجدي أحدًا سوى نفسها ولا تنتظر شيئًا من العالم غير أن يكون أكثر ملاءمة لإقامتها فيه. والثاني هو قدرتها على بناء مجموعة من الاستعارات المركزيّة الّتي تتفرّع عنها بقية البنى الشعريّة على كامل الكتاب، وقد يعتبر هذا الأمر ملمحًا متواترًا في الكتب الشعريّة المعاصرة، حيثُ لم تعد النّصوص مستقلّة بثيماتها الخاصّة، بل صارت إمكانيّة ما ضمن إمكانيّات مختلفة لثيمة واحدة تمتدّ على كتب بأكملها. والثالث، هو قدرتها الكبيرة على تطويع السّرد ليكون في خدمة الصّورة الشعريّة دون أن تسقط النّصوص في نثريّة قد تجعلها في بعض الأحيان أقرب إلى القصّة القصيرة أو بقيّة أجناس الكتابة النثريّة منها إلى الشّعر. وأمّا الرابع، فيتمثّل في قدرتها على تجاوز تلك النزعة الأنثويّة المصطنعة الّتي نجدها في نصوص نسويّة كثيرة ترى كينونة المرأة مجرّد امتداد عرضيّ تشوّهه غريزة ذكوريّة ترغب فيه بلا توقّف. وإذ نجحت في هذا كلّه، صارت سكينة حبيب الله بالكتابة بيت نفسها، وبيتنا الّذي ندخلهُ بالقراءة لنعيد فيه اكتشاف أنفسنا.

(شاعر ومترجم من تونس)

سكينة حبيب الله (تصوير: ألبرتو كامبيون)

> تتفطّنُ إلى أنّ كلّ ما كان يحدثُ، كان يحدثُ في داخلنا

> تتجاوز النزعة الأنثوية المصطنعة التي تحضر في نصوص نسوية

بطاقة

سُكينة حبيب الله، شاعرة وكاتبة قصّة وروايـة، من مواليد الدار البيضاء في المغرب عام 1989. صدرت لها مجموعة قصصية بعنوان «أشياء لا تنمو مرّتين» (2012)، وروايـة «بيت الفشلة» (2016). وفي الشعر، صدر لها: «ربـع قـرن مـن النّظـر» (2014)، و«لا لـزوم لـكَ» (2014) و«خمس فراشات منزوعة الأجنحة» (2017). و«خطة بديلة» هي مجموعتها الشعرية الرابعة.

يوميات

شعور لا يحظى به مُستعمِرٌ أو مطبِّع

إدوارد سعيد في المسجد الأقصى

> تناولت كتاب إدوارد سعيد في منتصف إحدى تلك الليالي التي مكثتها في الأقصى، وأخذت أقرأ بنبرة منخفضة كي لا أوقظ من حولي

ساند نجم

وجَه شقيقي الصغير يوم أمس تحدياً لي عبر موقع «فيسبوك»، بنشر صوَرتي في المسجد الأقصى، وأرفقَ المنشور بصور تجمعني به في باحات المسجد، التقطت قبل عامين. لبعيدنا بذلك إلى تفاصيل تلك الزيارة.

انطلقنا في ذلك اليوم باكراً، أنا وشقيقي ووالدتي، كان صباحاً حزيناً، بدأناه بخبر ألقاه زميلي في العمل عبر مذياع التاكسي، عن استشهاد ثلاثة شبّان، أحدهم قُتل في حي «باب الواد» قرب المسجد الأقصى. وكان الحزن متبوعاً بشعور القلق من أن تفوتنا فرصة زيارة «الأقصى»، بعد الإعلان عن إغلاق الأبواب الرئيسية له، بسبب «حدث أمني».

وقفنا في قاعة الحاجز العسكري بعد وصولنا إلى مدخل بيت لحم الشمالي، مشينا عبر ممرات ضيقة، نُفذنا من جهاز كشف المعادن، ونفذنا من فرصة اشتباه جنود الاحتلال بنا أو بحزننا على خبر الصباح، تفقدنا «تصاريحنا الطبّية» أكثر من خمس مرّات - خشية إضاعتها أو نسيانها -، استمعنا لتعليمات المُجندة وهي تنظم مرورنا، صارخةً عبر السمّاعة «واحد، واحد» ، وابتسمتُ بحزن: ها نحن بصدد خبر آخر، قتلوا حرف «الحاء».

أذكر كيف سارعنا خطواتنا حينها، بعد أن راجعنا مستشفى المقاصد للاطمئنان على صحّة شقيقي، وأكلنا من «كعك القدس»، تابعنا انطلاقنا إلى شارع «باب العامود» نتلمّس من المارّة أي خبر عن بوّابات الأقصى، إلى أن التقينا بامرأة مقدسيّة أجابتنا بنبرة مشجّعة وفُحرّضة: «هلّا جيت من هناك». سرنا بين أقواس المدينة العتيقة كسهام منطلقين بالكاد نُخفي لهفتنا. وأوقفنا حشدٌ من العساكر المستعمرين على أكثر من مدخل، وبالكاد كظموا غيظهم لفكرة تواجدنا و«استغلالنا» هذا «التصريح» لزيارة الأقصى.

ما زالت كُل جولة ونظرة قمنا بها كسكّان أصليّين لهذه البلاد الممتدّة، لا تُغادرنا، وتحضر التفاصيل بإصرار عند مشاهدة جولات الوفود «العربية» المُطبّعة في باحات المسجد الأقصى محروسة بشرطة الاحتلال، تخرش البصر وتُدمي القلب، بمشهد أقرب ما يكون إلى دراما المسلسلات التاريخية، تلك التي يحضر فيها الخونة قاعة بلاط الملك المُستعمِر، لأداء ركعة الولاء، محروسين بذات الشكل.

قبل هذه الزيارة بأعوام، كنت قد استطعت في أواخر شهر رمضان أن أتسرّب بين الحشود عبر حاجز ضيّق، وعلى ظهري حقيبة مجهّزة بلوازم الاعتكاف داخل المسجد الأقصى، واستغنيت عن بعض المتاع لأوفر حيزاً لكتاب «الاستشراق» الذي كان يشغل عينيّ قراءةً حينها. زرت كنيسة القيامة قبل «الأقصى»، وملأت عيوني بالثانية لحظة دخول الساحة، وعلمت أن اعتقادنا بالقدس كأقرب بقعة إلى السماء لم يكن عبثاً، فكُلّ شيء فيها محاط بالقشعريرة والرهبة والخشوع، شعور لا يحظى به مُستعمِرٌ أو مطبّع.

تناولت كتاب إدوارد سعيد في منتصف إحدى تلك الليالي التي مكثتها في الأقصى، وأخذت أقرأ بنبرة منخفضة كي لا أوقظ من حولي، وأرفقت صورة للكتاب على صفحتي في «فيسبوك»، وكتبت: «في منتصف إحدى تلك الليالي التي مكثتها في الأقصى، وعدتُ لواحدة من الصفحات، وأخذت أقرأ بنبرة منخفضة كي لا أوقظ المُمدّدين من حولي: «في النشرات والصور الإخبارية، فالعربي يظهر دائماً في حشود كبيرة وينتفي باعتباره فرداً يتمتّع بخصائص وخبرات شخصية، ومعظم الصور تُمثّل الغضب الجماهيري الجامح والبؤس أو الحركات غير العقلانية، وخلف جميع هذه الصور يكمن

> محبوسون في متحف واحد رغم ما كان بينهم من خلاف سياسي

(صحافي من فلسطين)

من باحة المسجد الأقصى (Getty)

التهديد بخطر الجهاد أو الخوف من أن المسلمين أو العرب سوف يستولون على العالم».

استيقظت في اليوم التالي على المُعتكفين يصرخون على مجموعة من العساكر المستعمرين الذين دخلوا ببساطيرهم على سجّاد «المصلى القبلي» استفزازاً لنا، نهضت بعد مغادرة العساكر، وأخذت أتتبّع طيف إدوارد الذي حضر في ذهني بكثافة ذلك الصباح، وجدت نفسي في ظلّ هذه الغيمة من الأفكار مجذوباً إلى «المتحف الإسلامي» ، وشهدتُ: (العباسيين، والأيوبيين، والمماليك، والأمويين، والفاطميين... إلخ)، مُمثّلين بالخطوط العربية والزخارف، والأسلحة والأدوات والخشب القديم، وجدتهم محبوسين في متحفٍ واحد، رغم الخلاف السياسي الذي كان بينهم على مر الزمن.

زيارة موقع

بعد غياب خمسة عشر عاماً

بتول الخضيري

> تلقي هذه الزاوية الضوء على موقع إلكتروني لمبدع عربي، في محاولة لقراءة انشغالاته عبر فضاء استحدثته التكنولوجيا وبات الأشبه ببطاقة هوية

عمّان ـ العربي الجديد

قليلةٌ هي المواقع الإلكترونية التي ينشئها الكتّاب العرب، وتعكس مضامين انشغالاتهم وتحيط بمجمل تجربتهم الإبداعية أو الفكرية؛ حيث ضُمّ العديد منها على عجل دون التفات لهويتها البصرية والجمالية، ولم تخضع للتحديث سواء على صعيد المحتوى أو الشكل.

يبدو موقع الروائية العراقية بتول الخضيري www.betoolkhedairi.com مختلفاً من زاوية أنه لم يحدّث، كونها أصدرت روايتيْن هما «كم بدت السماء قريبة» (1999)، و«غايب» (2004)، ورغم أنهما نالتا استحساناً نقدياً وتُرجمتا إلى عدّة لغات، إلا أن صاحبتهما توقّفت عن الكتابة حتى اليوم، باستثناء نشر مقالاتها في الصحافة الثقافية.

اختارت الكاتبة (1965) تبويباً بسيطاً، حيث الصفحة الرئيسية تنفتح على صورتها الشخصية مع مقاطع زخرفية وفنية، لتتوزّع أيقوناتها على أربعة أقسام، في الأول سيرتها الذاتية باللغتين العربية والإنكليزية تغطي تحصيلها العلمي وإصداراتها ومشاركاتها في الظاهرات والمؤتمرات، ومساهمتها في تحرير مسلسل تلفزيوني بعنوان «عائلة أميركية» يتناول الحرب على العراق عام 2003، ومشاركة المخرج العراقي طارق هاشم كتابة سيناريو فيلم مقتبس عن روايتها «كم بدت السماء قريبة».

تلفت الخضيري، في حديثها إلى «العربي الجديد»، إلى أنها «تضع أفكار مسودّة رواية ثالثة قد تبصر النور قريباً، ما يستلزم ضرورة تطوير موقعها الإلكتروني بعد طول غياب»، موضّحة أنه لا يزال حتى اليوم معبّراً عن تجربتها التي تأمل استكمالها قريباً بعد صمت دام أكثر من خمسة عشر عاماً.

في قسم «المنشورات»، تبرز أغلفة كتابيها وترجماتهما إلى الإنكليزية والفرنسية والإيطالية والهولندية، مع نبذة حول رواية «غايب» تشير إلى أنها كوميديا سوداء، تزخر بمقارنات بين زمن الخير في عراق السبعينيات، والزمن المتعب في عراق الحصار والحروب، إلى جانب مقولتين حول رواية «كم بدت السماء قريبة»، إحداهما للمفكّر فهمي جدعان يقول فيها: «عملٌ آسر يعلن عن ولادة روائيّة غير عاديّة... الرواية الشخصيّة لكلّ منّا في ذاته، وروايتنا الجمعيّة مع أنفسنا ومع الآخرين، ومع الأغيار»، والثانية للناقدة والروائية ليلى نعيم تدوّن فيها: «الرواية تأخذنا إلى.. أعمق نقاط الجرح في حياتنا، حيث فجيعة الموت، إهانة المرض، عبثيّة الحرب، دون أن تحجب عنّا عينُها الصافية جماليّات الحياة وإنسانها».

«في الصحافة»، قسمٌ يتضمّن عدّة مقالات ودراسات نقدية حول العملين لعدد من الكتّاب؛ من بينهم: تركي علي الربيعو، وفاطمة المحسن، ومحمود أمين العالم، وإنعام كجه جي، وطراد الكبيسي، وجورج جحا، ومعاذ الآلوسي، ويوسف ضمرة، وجميلة عمايرة، إلى جانب المقابلات التي أجراها معها كلٌ من حسام أبو إصبع، وعلي عبد الأمير، وشيرين حيدر، وهدى السرحان، وشيماء الباشا. وفي القسم الأخير، تظهر صور الخضيري أثناء قراءاتها لمقاطع من روايتيها، وفي مؤتمرات شاركت فيها، وحفلات توقيع الكتب التي أقامتها في عمّان وبيروت وباريس والقاهرة.

> اختارت الكاتبة تبويباً بسيطاً يضيء على عمليها وما كتب عنهما

بتول الخضيري في باريس، 2006 (Getty)

فعاليات

على خشبة «المعهد البلدي للموسيقى» بمدينة وهران الجزائرية، يُقام في الخامس عشر من الشهر الجاري العرضُ الأوّل لمسرحية **عربة وحكايات** للمخرج **محمد ميهوبي**. يتناول العمل قصّة مجموعة من الحكواتيّين الجوّالين الذين يجوبون مناطق مختلفة من الجزائر لتقديم عروض حكايات مستمدّة من التراث الشعبي الجزائري.

حتى الثلاثين من تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري، يتواصل **معرض بيكاسو العالمي** في مدينة ملقا، مسقط رأس الفنّان الإسباني (1881-1971)، بمشاركة قرابة مئات التشكيليين، ثلاثون منهم من سورية، ومن بينهم: **رافت الشيحاني**، و**علي جروان**، و**أكرم العلي**. بسبب الإجراءات الاحترازية من وباء كورونا، يُقام المعرض بشقّين؛ واقعيٌ للفنّانين من إسبانيا، وافتراضيٌ للمشاركين من خارجها.

تنطلق، السبت المقبل، الرابع عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر، في مدينة الصويرة المغربية فعاليات الدورة الثامنة عشرة من **مهرجان اندلسيات اطلسية**. التظاهرة الموسيقية، التي تُنظّمها جمعية «الصويرة موكادور»، تُقام هذا العام على مدار ثلاثة أيام وبشكل افتراضي بسبب إجراءات الحدّ من انتشار كورونا.

حنين عنوانُ معرض للتشكيلي المصري **مصطفى رحمة** (1952)، يُفتَتح عند السابعة من مساء اليوم السبت في «غاليري بيكاسو» بالقاهرة، ويستمرّ حتى 19 من الشهر الجاري. يُقدّم رحمة، في المعرض، مجموعةً من البورتريهات المنجزة بالأكريليك والألوان الزيتية والمائية، والتي تُجسّد نساءً في حياتهن اليومية.